الأثر العربي في شعر ع.س.مسلم
من خلال ديوانه " زمزمهء درود "

• د . تبسم منهاس

Abstract

Abdul Sattar Muslim is a contemporary Pakistani poet. Most of his verses are *Hamds* or *Na'ats*. He has spent most of his life in the Arab world, and is still living in the United Arab Emirates. He belongs to a religious family so religious imprints are evident in his poetry. Since he is living in an Arab country, it is natural for him to know the Arabic language and utilize it for his poetic expression. He has composed many books and *Zamama-e Darood* is one of them. The influence of Arabic on his poetry, especially on Zamam-e Darood, has been studied in this article.

المبحث الأول : حياة الشاعر

عبد الستار مسلم أحد شعراء الأردية الباكستانيين المعاصرين . ولد في الثامن من أبريل عام 1922م الموافق العاشر من شعبان عام 1340هـ بقرية لوهكره من قرى مدينة جالندهر في أسرة متدينة تعمل بالتجارة ، ولها اهتمامات أدبية وسياسية.

حصل مسلم على الثانوية العامة عام 1942م ، ثم انقطع عن مواصلة تعليمه، ودخل إلى ميدان العمل بسبب الظروف الاقتصادية الصعبة التي واجهتها أسرته في ذلك الوقت ، وقد تقلب مسلم في مجالات العمل المختلفة من أدناها إلى أعلاها إلى أن أصبح رجل أعمال معروف ، وهو يعيش الآن بدولة الإمارات العربية المتحدة حيث المقر الرئيس لأعماله التجارية والتي عهد بها لابنه الأكبر ، واستغرق هو في أعمال التأليف والتصنيف والشعر .

هذا وقد حاول مسلم أن يكمل تعليمه فالتحق بالكلية الإسلامية بكراتشي عام 1951م ، ولكنه لم يستطع التوفيق بين التجارة والدراسة ، فترك الدراسة ، ثم التحق بعد ذلك بالكلية الوطنية : نيشنل كالج ، وحصل

• باحثة دائرة المعارف الإسلامية الأردية ، جامعة بنجاب، لاهور

ولما حدث تقسيم شبه القارة الهندية إلى باكستان والهند عام 1947م تفرقت أسرة مسلم بين البلدين ، إلى أن استقر به المقام في مدينة كراتشي ، ثم أخذ يبحث عن باقي أفراد أسرته الذين بقي بعضهم في مدينة جالندهر والبعض الآخر في مدينة بنارس . وهكذا عاش مسلم وقتاً عصيباً بلا عمل أو دخل ينفق منه إلى أن انتعشت أحواله المادية تنتعش شيئاً فشيئاً .

شخصيته

يمتلك ع . س . مسلم شخصية قوية تمتلئ إصراراً وعزيمة وصبراً ، وقد صقلت شخصيته هذه ثقافته الواسعة ، وتنوع قراءاته واهتماماته الثقافية والأدبية . وتتسم شخصية مسلم بالإصرار الشديد الذي يصل في بعض الأحيان إلى العناد ، وقد عبر عن هذا في مقدمة مجموعته القصصية " زهور في غصن واحد " حين قال : لقد عشت في حرب مستمرة مع البيئة من حولي ، فأنا لا أحب أن يجرفني التيار ضمن من يجرفهم ، إنما أحب أن أسبح بسرعتي وأسلوبي أنا ، فإن كان اتجاه التيار غير معاكس فبها ونعمت ، وإلا فإنني لا أتردد في السباحة ضد التيار ، حتى وإن أدى ذلك إلى أن تشل ذراعاي ، لكنى لا أقبل أبداً أن أغير مسلكي ، أو أتنازل بسبب الظروف غير المواتية ، ولهذا التوجه بطبيعة الحال عيوبه ، إذ لا تكون الظروف بالفعل مواتية في أكثر الأحيان ، ويضطر أمثالي من المتمردين الأزليين إلى صنع مكانتهم بقوة ساعدهم ، وقد انعكست كل تجاربي وما يتعلق بها من حقائق مريرة في هذه المجموعة القصصية (2) .

وهذه بالفعل هي أوضح صفة في مسلم ، أي الإصرار وعدم التراجع (3) بالإضافة إلى طيب قلبه وسعة صدره ، وصفة القيادية التي تلمسها في شخصيته ، والتي صنعتها الأحداث الحياتية التي مرّ بها ، وكان لها أكبر الأثر على حياته العملية ، والمكانة التي وصل إليها .

المبحث الثاني : إبداعات مسلم الأدبية

كتب مسلم في ميادين الأدب المختلفة ، وخاصة ميدان الشعر الذي كان أكثر ما كتبه فيه في المديح النبوي ، ومع ذلك فقد كتب في الأصناف الشعرية الأخرى كالغزل والنظم ، وفي النثر قصصاً قصيرة ومقالات صحفية وغيرها ، هذا بالإضافة إلى رحلاته وأسفاره في بلاد العالم . وفيما يلي ذكر لبعض مؤلفاته :

أولاً : في مجال الشعر

*** اوس اور كرنين : الأشعة والندى – غزليات ومنظومات وأغاني – 1962م . وبعدما نشر مسلم ديوانه هذا انقطع عن الحياة الأدبية ستة عشرعاماً ثم عاد إليها ثانية، وبعد هذه الوقفة الطويلة حدث تحول ملحوظ فى أشعاره حيث بدأت موضوعات الحمد والنعت تسيطر على ما ينظم من أشعار ، وأرجع مسلم هذا التحول في أشعاره إلى إقامته في دولة الإمارات العربية بشأن أعماله ، الأمر الذي يسر له السفر إلى الدول العربية ولا سيما المملكة العربية السعودية مما أتاح له أداء فريضة الحج والقيام بالعمرة مرات عديدة ، واعتقاده أنه بنظمه للغزل يهدر حماسه ومشاعره وفكره وعلمه وأدبه وذخيرة ألفاظه وقدرته على التعبيرعلى محبوب وهمى، ومن ثم قرر أن يوجه طاقته وموهبته تجاه مدح الله تعالى ومدح رسوله عليه الصلاة والسلام (4) .**

*** حمد ونعت : مجموعة شعرية في حمد الله تعالى ومدح النبي صلى الله عليه وسلم . وهي أول مجموعة شعرية لمسلم في مجال الحمد والنعت، وثاني مجموعة شعرية نشرت له بعد " اوس اور كرنين " ، و تقع في (263) صفحة، وطبعت في لاهور عام 198 4 م**

*** كاروان حرم : قافلة الحرم - رحلة حجازية منظومة . ثالث مجموعة شعرية لمسلم، وهي عبارة عن رحلة حجازية منظومة صدرت الطبعة الأولى منها عام 1987م،والثانية عام1991م ، والثالثة عام2001م، ثم توالت عدة طبعات كان أحدثها طبعة2006م، وتقع في 334 صفحة .**

*** الله ورسول : مجموعة شعرية في حمد الله تعالى ومدح النبي صلى الله عليه وسلم وأغراض شعرية أخرى . وهي رابع مجموعة شعرية لمسلم ، طُبعت في لاهورعام 1993م، وتقع في (159) صفحة، وهي مجموعة من أشعار "الحمد والنعت".**

*** كعبه وطيبه : مجموعة شعرية في حمد الله تعالى ومدح النبي صلى الله عليه وسلم وأغراض شعرية أخرى. خامس مجموعة شعرية لمسلم في مجال "الحمد والنعت"، طُبعت في لاهور عام 1993م، وتقع في 160 صفحة .**

*** زمزمهء سلام : مجموعة شعرية في الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم . سادس مجموعة شعرية لمسلم ، طبعت في لاهور 1993م، وتقع في 208 صفحة، وهي عبارة عن مجموعة من الأشعارالتى تمتدح الرسول علية الصلاة والسلام وتسمى "سلام" .**

*** زمزمهء درود : مجموعة شعرية في الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم . سابع مجموعة شعرية لمسلم ، طُبعت في لاهور 1993م، وتقع في 208 صفحة، وهي عبارة عن مجموعة من الأشعار التي تمتدح الرسول علية الصلاة والسلام، وعليها مدار بحثنا هذا .**

*** برکـ تر : أوراق نديّة – منظومات وأغاني ودوهات . ثامن مجموعة شعرية لمسلم ، طُبعت في لاهور عام 1995م، وتقع في 176صفحة .**

*** نيش كل : أشواك الورد . تاسع مجموعة شعرية لمسلم طبعت في لاهور1998م، وتقع في 287 صفحة، ونظم مسلم هذه المجموعة في قالب الغزل، ولم تختلف موضوعات تلك المجموعةعن المجموعة السابقة حيث صور"مسلم" من خلالها الواقع والحياة وانتشار الظلم وتدهور الأخلاق ومعاناة الإنسان .**

*** واكان مين دل مور : أيها الحبيب وجّه زمام فرسك نحوى (5) . عاشر مجموعة شعرية لمسلم طُبعت في لاهور عام 2000م، وتقع في 272صفحة، وهي عبارة عن مجموعة من أشعارالحمد والنعت، وتتسم هذه المجموعة بأنها الوحيدة التي نشرها مسلم باللغة البنجابية .**

وبالاطلاع على مجموعات مسلم الشعرية نلاحظ عدة أمور أهمها:

ـ تنوع موضوعات أشعاره ، فنجدها تتضمن الحديث عن الطبيعة وحب الوطن والغزل والموت والحياة وغيرها العديد من الموضوعات.

ـ اهتمامه بتصوير الواقع والأحداث والمشكلات المحيطة به، ولاسيما أحوال المسلمين، بل جعل من أشعاره أداة ووسيلة لتحذيرالمسلمين مما ألم بهم من تدهور وحثهم على النهوض والعمل والكفاح.

ـ استخدامه قوالب شعرية متنوعة القديم منها والحديث.

ـ اعتداله فيما نظم من أشعار الحمد حيث لم يُفرط أو يغالى في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام، وكذلك لم يفرِّط في إظهار عظيم مكانته صلى الله عليه وسلم والتي لم يبلغها مخلوق سواه، مما يدلنا على مهارة مسلم الأدبية ، واتزان فكره .

ثانياً في مجال النثر

*** ايكـ تهنى كـ بهول : ورود غصن واحد – مجموعة قصصية – 1957م . أول مجموعة قصصية لمسلم ، كما أنها المجموعة القصصية الوحيدة له، وتضمنت هذه المجموعة أربع عشرة قصة قصيرة . يقول مسلم عن مجموعته هذه إنه صور من خلالها الواقع والأحداث حوله ؛ وأتى فيها بشخصيات حقيقية من المحيطين به، كما حاول أيضاً من خلال مجموعته هذه تصوير مشاعر المراهقين وتحليل نفسياتهم(6) .وطبعت هذه المجموعة في لاهور عام 1957م.**

*** كشور كسرى تا سونار ديس : من دولة كسرى إلى أرض الذهب ، وينقسم الكتاب إلى جزئين الأول: تناول فيه مسلم رحلته إلى إيران والعراق والكويت، والتي قام بها عام 1953م، والثاني تناول فيه رحلاته إلى بنجلاديش عندما كانت تمثل الجزء الشرقي من باكستان، وبعدما انفصلت عنها، وقد ضمن مسلم هذا الكتاب بعض المعلومات**

*** سفر اندر سفر : سفرمتواصل ، وتناول مسلم في هذا الكتاب رحلاته إلى أوربا وسريلانكا، وضَمّنه مزيجاً من المعلومات التاريخية والجغرافية الخاصة بتلك المناطق، والكتاب يقع في 210 صفحة ، وطبع في لاهورعام2004م.**

*** سفرنامه محبوبيه : رحلة المحبوب ، وتناول مسلم في هذا الكتاب رحلاته إلى كل من تركيا ودمشق ولبنان ومصر والأردن ودولة الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية، وقدم من خلاله بعض المعلومات التاريخية والسياسية والاجتماعية والجغرافية المختصرة عن هذه الدول مع الإشارة إلى أهم الأماكن بها، ويقع الكتاب في 252 صفحة، وطبع في لاهور عام 2004م.**

*** ا ه انت رسول اور آزادى اظ ه ار : الإساءة إلى الرسول وحرية الفكر ، وهو واحد من أهم مؤلفات مسلم حيث رد من خلاله بالأدلة والبراهين العقلية والنقلية على إدعاءات أعداء الإسلام واتهاماتهم ضده، كما قارن فيه بين عقائد ونظريات الإسلام وعقائد الأديان الأخرى ليُثبت عالمية الإسلام، كما تناول أيضاً فى كتابه هذا المذهب البهائي ومؤسسه وتاريخه وعقائده ونظرياته محاولاً دحض أفكارهم، ونُشرهذا الكتاب عام 2000م (7) .**

*** سرور نعت : فرحة النعت ، والكتاب عبارة عن مجموعة من الموضوعات التي كتبها مسلم مقدمات لمجموعاته في الحمد والنعت بالإضافة إلى بعض الأحاديث التي أُجريت معه؛ ويقع الكتاب في 174 صفحة، وطبع في لاهور عام 2000م.**

*** صرير خيال : صوت الفكر ، والكتاب عبارة عن مجموعة من الموضوعات والتحقيقات التي كتبها مسلم بالإضافة إلى بعض الأحاديث التي أُجريت معه . ويقع الكتاب في 239 صفحة، وطبع في لاهور عام 2001م.**

*** در يجهء نكاه : "نافذة النظر ، والكتاب عبارة عن مجموعة من الموضوعات والمقالات التي كتبها مسلم فيما بين عامى 1959م و2000م، ونشرت من خلال مجلته الشهرية "نياراهى: العابرالجديد "، أو من خلال صحف ومجلات أخرى، وقد تنوعت موضوعات المقالات التي اشتمل عليها هذا الكتاب مابين موضوعات ساخرة تصور آلام الواقع بشكل فكاهي أو موضوعات تناولت أهم الأحداث المحلية والعالمية والتغيرات التي حدثت في الخمسة وأربعين عاماً التي مرت منذ قيام باكستان بالإضافة إلى الموضوعات الأدبية والاجتماعية،**

*** خدنکـ تحرير : سهم التحرير ، والكتاب عبارة عن مجموعة من الموضوعات، والتحليلات، والمقالات الصحفية ذات الموضوعات السياسية والاجتماعية المتنوعة والتي نُشرت لمسلم في صحف ومجلات مختلفة، ويحتوي هذا الكتاب على أربعة وعشرين موضوعاً استخدم مسلم في عدد منها الأسلوب الساخر مما أضفى عليها عنصر الجذب والتشويق . ويقع هذا الكتاب في 191صفحة، وطبع في لاهور عام 2002م.**

*** نبض ضم ي ر : نبض الضمير ، ويتضمن هذا الكتاب مجموعة من الموضوعات والمقالات التى نُشرت لمسلم فى صحف ومجلات مختلفة، وتضمن الكتاب عشرين مقالاً مختلفاً ناقش مسلم من خلالها العديد من الأمور السياسية والأجتماعية والأدبية . ويقع الكتاب في 191صفحة، وطُبع في لاهور عام 2003م.**

*** زبور خيال : زبورالفكر ، ويتضمن هذا الكتاب أيضاً مجموعة من المقالات والموضوعات التي نشرت لمسلم في صحف، ومجلات مختلفة، . ويقع الكتاب في 212 صفحة ونُشر في لاهور عام 2006م.**

*** باكستان مين ذهني بسماندكي : الإعاقة الذهنية في باكستان ، وهو واحد من مؤلفات مسلم المهة حيث ألقى من خلاله الضوء على مرض الإعاقة الذهنية، وقدم معلومات مبسطة عن ماهية هذا المرض وطبيعته وأسبابه وكيفية تعليم وتربية المصابين به، كما أشار مسلم من خلال هذا الكتاب إلى المؤسسة التي أنشأها لرعاية مرضى الإعاقة الذهنية في باكستان؛ وأهم ما يميز هذا الكتاب أنه كان الأول من نوعه في باكستان وقتها نظراً لموضوعه الذي لم يتطرق أحد للكتابة فيه من قبل، وقد أصدر مسلم هذا الكتاب للمرة الأولى باللغة الإنجليزية عام 1993م ثم أعاد إصداره مرة أخرى باللغة الأردية عام2000م.**

*** ميرا تنقيدى سفر : رحلتي في مجال النقد ، والكتاب عبارة عن مجموعة من المقالات والموضوعات التي ناقش مسلم من خلالها أحوال باكستان المحيطة به من سياسية وأدبية وغيرها ، كما انتقد من خلاله بعض المؤلفات والأعمال الأدبية لعدد من الأدباء، ويقع هذا الكتاب في 191 صفحة، وطبع في لاهور2006م .**

*** لمحه به لمحه زندكى : السيرة الذاتية بقلم المؤلف – باكستان 2005م.**

كما كتب مسلم سلسلة للأطفال شعراً تضم عشرة كتب صغيرة في موضوعات دينية ووطنية نذكر منها :

1 - همارا دين : ديننا . 2 - هماري تعليم : تعليمنا . 3 - هماري هدايت: هدايتنا . 4 - هماري ملت : ملتنا . 5 - همارا باكستان:بلدنا باكستان . 6 - هم باكستاني بجـ : نحن أطفال باكستان . 7 - هماري سائنس : علمنا . 8 - هماريـ كيت : أغانينا .9 - هماري لوريان اور جهولي : نغماتنا وأراجيزنا . 10- هم بهول اس آنكن كـ (8) : نحن زهور هذه الروضة.

وبالإطلاع على مؤلفات مسلم في مُجملها يتضح لنا عدة أمورهي :

- أن مسلم شخص متعدد المواهب واسع الثقافة والإطلاع ، فهو بجانب كونه شاعراً موهوباً له العديد من المؤلفات الشعرية نجد له كتابات ومقالات وموضوعات أدبية وعلمية ودينية وسياسية وغيرها ، وتضمنت معلومات تاريخية وجغرافية وغيرها من المعلومات المتنوعة.

- إيمان مسلم بما للأدب من دور قوي ومؤثر في إصلاح المجتمع ولكن شريطة أن يكون الأديب نموذجاً حياً من الجرأة والشجاعة والضمير وحُسن الخلق حتى يمكنه التأثير في الناس.

- اهتمام مسلم بإصلاح المجتمع حيث لم يكتف بمجرد تصوير المشكلات من حوله ونقلها وتحليلها وإنما حرص على تقديم الحلول والنصائح .

- رؤية مسلم أن ما أصاب وطنه والأمة الإسلامية من تراجع وتدهور في جميع النواحي من أخلاقية وسياسية وغيرها إنما سببه هو بُعدهم عن الإسلام ومنهجه، وعن تراث المسلمين وحضارتهم وثقافتهم التي استفاد منها الغرب في تحقيق نهضتهم ، وأن المسلمين الأوائل كانوا يتمتعون بالقوة والنفوذ والتقدم العلمي والرقي الأخلاقي لتمسكهم بالإسلام ومنهجه وتعاليمه وبسُنة الرسول عليه الصلاة والسلام . ويكفي مسلم أن يشهد له مولانا أبو الحسن الندوي بقوله : هناك فنانون محظوظون كرسوا فنهم للحمد والنعت، وما قالوه هو ما اعتقدوه، فأشعلت أشعارهم القلوب، ونمّت الذوق، وقربت الناس من الله ورسوله الكريم، ومن هؤلاء الفنانين السيد "أبو الامتياز ع.س مسلم" والذي توفرت فى مجموعاته المنشورة كل تلك السمات (9) .

المبحث الثالث : الأثر العربي في شعر ع . س . مسلم

قلنا سابقاً إن الشاعر عبد الستار مسلم قد كتب أكثر ما كتب في الحمد والنعت ، ومن الطبيعي جداً أن يكون هناك تأثر للعربية على إبداعه الشعري لطبيعة موضوعات الحمد والنعت التي تستمد أفكارها من الكتاب والسنة ، وهذا يعني أنه كلما كان الشاعر عارفاً باللغة العربية متمكناً من دينه كلما كان أقدر على تقديم صور جميلة وصحيحة من شعر الحمد والنعت ، وبالتالي فإن أثر العربية في شعر مسلم مرده إلى الأسباب التالية :

*** كون الشاعر مسلماً متديناً من أسرة ذات اتجاه ديني .**
*** عاصر الشاعر حركة قيام باكستان ، وهي حركة تقوم في الأساس على حب الدين الإسلامي ، وتعتمد على زعماء وقادة أصحاب فكر إسلامي رفيع ، وصلتهم الفكرية والروحية باللغة العربية وثيقة ، وكان من الطبيعي أن يكون للغة العربية مكانة كبرى في قلوب من عاصر هؤلاء الزعماء والقادة واقتنع بفكرهم وصار على نهجهم ، وأن ينعكس هذا الحب والاقتناع والاهتداء في إبداع الأدباء والشعراء منهم وعلى رأسهم ع . س . مسلم في شكل روح إسلامية وعربية تحتضن هذا الإبداع، والغالبية العظمى من جيل ع . س . مسلم ينطبق عليها هذا الاستنتاج .**
*** كتب الشاعر أكثر ما كتب شعراً في الحمد والنعت، وهما صنفان يتعلقان بالدين بشكل مباشر، ويتضمنان من الكلمات والألفاظ العربية ما يخرج عن الحصر .**
*** حياة الشاعر في العالم العربي (دولة الإمارات العربية المتحدة) بسبب مقتضيات أعماله التجارية .**
*** أسفارالمتعددة إلى العالم الإسلامي والعالم العربي بخاصة .**
*** حياته في العالم العربي نتج عنها معرفة ليست بالقليلة باللغة العربية .**
*** طبيعته الباحثة في مجال العلوم الإسلامية والفكر الإسلامي مما اقتضى منه الاطلاع الدائم على المراجع والمصادر العربية لخدمة أعماله الشعرية .**
وقد تجلى هذا الأثر في أعمال مسلم على الوجه التالي :
*** حرص مسلم على أن يضع لمنظوماته وقصائده بشكل عام ، ولقصائد الحمد والنعت بشكل خاص عناوين عربية خالصة ، سواء ما كان منها ما يجري على ألسنة أهل باكستان بشكل عام، أو ما وضعه هو بنفسه بصورة شعورية ، ونظرة سريعة على مجموعات مسلم الشعرية تؤكد هذا الاستنتاج وتؤيده ، ونضرب لذلك أمثلة من دواوينه المختلفة ، ثم نقصر حديثنا بعدها على ديوانه زمزمهء درود فقط نظراً لاتساع الموضوع :**
*** ديوان حمد ونعت: خطاب أرض يثرب به فلكـ ـ يضرب الله الأمثال – يا محمد مصطفى خير البشر – يا محمد مصطفى يا رحمت للعالمين – الصلاة والسلام ، ايـ جان رحمت، السلام – يا نبي سلام عليك .**
*** ديوان زمزمهء درود : يا نبي سلام عليك– صلّ على نبينا صلّ على محمد– صلى الله عليه وسلم– سلام الوداع .**
كاروان حرم : اعتراف خطا – مآل أبرهه – تحويل قبله – تعمير كعبه – امتحان إبراهيم – مشاعر ومناسك – سفر مدينه منوره – طلع البدر علينا .
*** برکـ تر : طلسم ليل معجزات – ادائـ واجبات – اسرار ورموز .**
*** كعبه وطيبه : رب العالي المتعال – مرحبا خير البشر .**
*** زمزمه سلام: مرسل (بكسر السين) ومرسل (بفتح السين) .**

* استخدامه الكثير من الألفاظ العربية سواء ما كان منها رائجاً مستخدماً من قبله ، أو ما مكان نتيجة لإصراره على اللجوء إلى اللغة العربية إذا ما احتاج إلى لفظ في بيت أو قافية تستدعيها الموسيقى الشعرية . وفيما يلي أمثلة على هذا :

- مربّي : إنه مصوري ، وربي ذو الجلال ، إنه الغفور إله المصطفى (10)

- منبع : أنت الحق وانت مدينة الحق ، وأنت منبع العلم والفن (11)

- ابتهاج : مدحك موسيقى النفس ، وذكرك روح الابتهاج (12)

- معاذ : أهداب رحمتك يا رسول الله (ص) هي أماني وهي معاذي (13)

- مستطاب : سلام على ذلك الذي سيكون وليّي يوم الحساب ، وبفضل ربي سوف يكون يومي مستطاب (14)

- رقيب : سلام على ذلك الذي يعلم حالي ويرعاه ، الأمين على الأخلاق الحسنة والأمن والسلام (15)

- بروز : أين ذلك الذي يعرف مقامه صلى الله عليه وسلم حق المعرفة إلى الآن ، فإن ليلة الإسراء لم تكن إلا لإبراز رفعته وسموه (16)

- طائل: سلام على ذلك الذي هو بمثابة وجهة مستقبل العالم ، ذلك الذي هو بمثابة عنوان لوجه كل ميزة وفضل (17)

- زكاء : سلام على ذلك الذي مدحه هو النجاة الدائمة ، وهو التطور والرقي لفكر وعقل الإنسان (18)

- مرتسم : لقد شربت كأس حب محمد ، وارتسم اسمه على شريان روحي (19)

- استلام: فأقبل كل أثر لقدمه الشريفة ، على محمد صلى الله عليه وسلم ملايين الصلاة والسلام (20)

- رخيص : هو الحريص على خير الأنام ، ورحمته عامة وفيرة (21)

والملاحظ أن الشاعر استخدم لفظ " رخيص " العربي بمعنى " كثير ووافر " ، وهو ما أشار إليه في هامش الصفحة التي ورد فيها البيت ، مع أن المعاني الرئيسية لهذا اللفظ العربية تتعلق بالسعر والقيمة والثمن أكثر من تعلقها بالوفرة والكثرة ، وربما يكون الشاعرقد ترجم اللفظ الأردي " سستا " إلى العربية " رخيص " ، واللفظ الأردي " سستا " يعني عند تركيبه في بعض الأحيان " عام ووفير ومتاح " ، مثلما نقول " سستا إنصاف " وتعني العدل العام المتوفر السريع .

* استعانته وتضمينه لآيات القرآن الكريم وألفاظه والأحاديث النبوية ، وهو أمر يتميز به مسلم في إبداعه الشعري بصفة عامة ، وفي دواوين الحمد والنعت التي كتبها بصفة خاصة ، وفيما يلي بعض الأمثلة :

- لا تحزنوا (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين : آل عمران : 139) - لا تقنطوا (ولا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً : الزمر : 53) :

سلام على ذلك الذي يمثل اتباعه كنز"لا تحزنوا"، إن اتباعه يا مسلم هو بشرى" لا تقنطوا"(22)

- عزم الأمور (إن ذلك من عزم الأمور : لقمان : 17) :

سلام على ذلك الذي هو صاحب العزم في الأمور،

ذلك الذي يمنحنا عزماً جديداً وقيماً سديدة (23)

- كنود (إن الإنسان لربه لكنود : العاديات : 6) :

ذلك الذي تغار من أمواج رحمته الأنهار ، ويستقيم القلب الجحود من ألطافه (24)

- زور (واجتنبوا قول الزور : الحج : 30)

سلام على محطم الكبر والغرور ، ذلك الذي قضى على كل زور وخداع وسوء طوية(25)

* استخدامه للتلميحات القرآنية

- فوج فوج : (ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً : النصر: 2):

سلام على ذلك الذي بدأ به تقليد المحبة ، فالتقى بفضله المتفرقون أفواجاً (26)

- شرح صدر : (ألم نشرح لك صدرك : الانشراح : 1) :

سلام على ذلك الذي أنعم عليه الحق بشرح الصدر ،

ووضع عنه الوزر وخفف عنه عبء القلب (27)

- لوح مستطر : (والطور وكتاب مسطور – الطور : 1 ، 2) :

ذلك الذي حديثه معتبر كالصحف (السماوية) ،

ذلك الذي حديثه في الحقيقة لوح مسطور (28)

وربما لو استخدم الشاعر هنا لفظ " مستتر " بدلاً من " مستطر " لأصبح المعنى "اللوح المحفوظ" ، ولكان في ذلك قوة للمعنى وربطاً له بالقدسية .

- متشابهات:(منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب وأخر متشابهات : آل عمران : 7):

سلام على ذلك الذي هو بمثابة شرح لأحوال الكائنات ، فأضاء باب المتشابهات والمحكمات (29)

- رب مستجيب : وقال ربكم ادعوني أستجب لكم : غافر : 60) :

أين المستغيث الذي يعدله ، وأين الخطيب الذي يشبهه ،

ذلك الذي يستجيب دعاءه الرب المستجيب (30)

وكأن الشاعر قصد بلفظ " مستغيث " هنا المعنى الذي يعطيه لفظ " مغيث " ، فهذا هو الأقرب إلى الفهم مع قراءة البيت للوهلة الأولى ، وكأن الشاعر يريد أن يقول ليس هناك مغيث مثله ، فهو الذي يستجيب الله دعاءه ، يعني إذا استغاث أحد برسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الله له فاستجاب الله دعاءه ، ومع ذلك فإذا لم يكن هكذا فإن المعنى الأصلي الذي

ـ رب المشرقين والمغربين (رب المشرقين ورب المغربين : الرحمن : 17)

أبلغ سلامي لذلك الذي هو حبيب رب المشرقين والمغربين ،
لذلك الذي هو راحة الروح ونور العينين (31)

– والضحى والليل (والضحى والليل إذا سجى : الضحى : 1) :

الصبح وجنتاك ، والليل خصلات شعرك ، والضحى والليل يليقان بوجهك (32)

– رحمت (بفتح التاء) للعالمين: (وما أسلناك إلا رحمة للعالمين: الأنبياء: 107) :

وجودك رحمة للعالمين ، ووسحائب الصلاة والسلام تتنزل عليك من العرش (33)

وقد استخدم الشاعر تركيب " رحمت للعالمين " بتاء منونة بالفتح ، والبديهي أن يتستخدمها بالتنوين بالضم باعتبار أنه تركيب مستقل دخل الأردية من العربية ، وهو في العربية منون بالضم ما لم يكن هناك سبب لفتحه أو كسره ، ولكن تفسير هذا هو أن هذا التركيب مأخوذ من الآية القرآنية مباشرة ، وهو فيها منون بالفتح .

ـ استخدم الشاعر كما كبيراً من التراكيب العربية ، سواء ما كان مستعملاً بالفعل في اللغة الأردية أو ما كان جديداً عليها ، وفيما يلي أمثلة توضيحية :

– نور ونار

في النور والنار والماء والتراب واللون والرائحة، إنه يتجلى في آلاف الأشكال والصور(34)

– صحن فضا

من ذلك الذي ببريقه ، أضاء المجرات ووجه الشفق وصحن الفضاء (35)

– مرهم قلب حزين

أنت إمام المتقين ، أنت سراج السالكين .
أنت مشعل الدين المبين ، وأنت بلسم القلب الحزين (36)

– محفل إمكان – ساقي تسنيم وكوثر

القلب والروح بك منيران ، ومعطرة بك محافل الأكوان .
يا ساقي التسنيم والكوثر ، اسقني يوم الحشر كأساً (37)

– مختل حواس

الفكر والظن والتصور والقياس ، كلها أوهام تفقد الحواس .
ودواء الشكوك والريب ، هو الصلاة على محمد (38)

– سلك سلسلا
بك قيام الحياة ، وبك دوامها .
أنت سلك السلسلة ، فصل على محمد (39)
والمقصود بسلك السلسلة على ما نتصور هو السلك الذي ينظم حلقات السلسلة مع بعضها البعض وبغيره تنفرط هذه الحلقات ، فكأن الأنبياء والرسل حلقات يربطها النبي صلى الله عليه وسلم ببعضها البعض مثلما ينظم الخيط حبات العقد مع بعضها البعض .
– عروه محكم
هو خلاصة الإيمان ، وهو العروة الوثقى ، صلى الله عليه وسلم (40)
– ايام صيف – لمعات كيف – سهم وسيف
إنه المقيم في المكان ، وهو ضيف اللامكان ، وبه عمّت المحفل روائح السرور .
صاحب النظر المشع كأيام الصيف ، إنه دواء الأحزان ومانع يد الظلم .
إنه فيوض الرحمات ، وومضات السرور ، ولم يكن يحمل سلاحاً ،
فلا رمح ولا سهم ولا سيف (41)
ومن هذه التراكيب أيضاً : كحل البصر – صدر الصدور – قلسم فردوس انهار وقصور – غلمان وحور – روح عطور – وقف اوزان وبحور – موج اهتزاز – رهين اعتزاز – سراج رشد – تاج سموّ – سرور وابتهاج – كرّ وفر – تكميل نعم آفاق – رفع وصعود – بحر ترحم – مجاب حق – نظام كن – مامون خيالات فضول – سيد ملك عرب ، ارض عجم – صاحب حكم شريعت – منبع صبر وقناعت – صاحب اذن شفاعت – خاتم وحي ونبوت – لحن طيور – مشعل وجدان رازق عقل وغيرها مما يمكن الرجوع إليه بقراءة الديوان والاطلاع عليه .
6 - جاءت بعض المصارع كاملة باللغة العربية ، وأحيانا جزء من المصراع ، وأحياناً البيت كله ، وأحيانا يبدأ منظومته ببعض الجمل العربية الموزونة المتداولة في مجال الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ، وأحياناً يأتي بمثل هذه الجمل كترجيع يتكرر في المنظومة كلها ، وفيما يلي بعض الأمثلة :
ـ ما أعجب تقويم الأسرار والرموز ، حكمت التكوين ونظم الإرتقاء (42)
ـ إنه منبع كل نعمة ولطف وكرم ، إنه الذي يقضي حاجات المخلوقات (43)
ـ من نال الفلاح مثلك في الكونين، أنت رحمة للعالمين ، أنت محبوب رب العالمين(44)
- يا نبي سلام عليك يا رسول سلام عليك
يا حبيب سلام عليك صلوات الله عليك (45)

وهو ترجيع يتكرر بعد كل بيتين في منظومة سلامية بعنوان (يا نبي سلام عليك) .

– صل على نبينا صل على محمد
صل على شفيعنا صل على محمد (46)

وجاءت هذه الجمل الموزونة في بداية منظومة نعتية بعنوان (صل على نبينا) .

ـ هو الخير والهداية والفلاح ، هو نبع الخير والصلاح .
هو شفاء القلب الحائر ، صل على محمد (47)

ـ كل لفظ من ألفاظه شرع متين ، كل لفظ من ألفاظه درّ ثمين .
إنه كنز من اليقين لا يقدر بثمن ، فصل على محمد (48)

ـ جميل الوجه كالفلق ، منير الجبين كالشفق .
يشع نوراً كانه المصابيح ، فصل على محمد (49)

ـ الألفاظ والمعاني والكلام ، كلها تعكس كلام ذي المنن .
وكل ما يقوله وحي من الله ، فصل على محمد (50)

ـ هو نور الهداية المبين ، هو سيد جميع المرسلين .
هو خير البشر المرشد إلى الله ، فصل على محمد (51)

ـ إنه إمام الأولين ، إنه رسالة الآخرين .
إنه المبتدا والقلب والمنتهى ، فصل على محمد (52)

ـ إنه صاحب خلعة السبع المثاني ، وكل حرف منها كنز المعاني (53)

ـ فامح سواد قلب مسلم يا س،راجاً منيراً مصباح الظلام (54)

ـ سلام على ذلك الذي يكسو اسمه الشفاه حلاوة ،
إنه مدار الألفاظ والمعاني ، وهو محور الشعر والأدب (55)

7 ـ جاء بعدد كبير من ألقاب النبي صلى الله عليه وسلم وصفاته وكلها بالعربية ونذكر منها :

رحمة للعالمين – محبوب رب العالمين – خير الأنام – صادق – امين – امام الأنبياء – والي دنيا ودين – امام متقين – سراج السالكين – مشعل دين مبين – هادي سبل – سيد وخاتم رسل – محسن جمله عالمين – غوث وشفيع مذنبين – صاحب اذن وشفاعت – خاتم وحي ونبوت – يتيم – امّي – مظلوم – مهجور وطن – بحر علم – صاحب حكم شريعت – مبشر – مكرم – محتشم – زعيم – محترم – شمس الضحى – بدر الدجى – كهف الورى – صدر العلى – منتخب – مشفق – مصدق – مجتبى وغيرها مما يمكن التعرف عليه بالرجوع إلى الديوان .

ومع ذلك فإن كثرة استخدام الشاعر للألفاظ والتراكيب والجمل العربية كان في الحقيقة سلاحاً ذا حدين ، فمن جانب أضاف إلى شعره قوة وقدسية وفخامة وعلماً ، ولكنه على الجانب الآخر مثل في بعض الأحيان ثقلاً وغرابة في المعنى ، وثقلاً وصعوبة في النطق ، وأحياناً سطحية في

ـ أنت الصادق والصدق والأمين ، وأنت والي الدنيا والدين
أنـت شفيـع المـذنبين ، وأنـت رحمـة للعـالـمـين (56)

فقد وصف الشاعر النبي صلى الله عليه وسلم في الشطر الأول بالصادق والصدق والأمين ، وهي صفات حق في النبي صلى الله عليه وسلم لكنها من حيث الاستخدام اللغوي والشعر تحمل شذوذاً في صفة الصدق بين اسمي فاعل وهما صادق وأمين ، والاستعمال الغالب لهذه الألقاب النبوية هو الصادق والصدوق والأمين ، وربما هذا هو ماقصده الشاعر هنا لكن خانه التعبير .

ـ أنت الضحى في الظلام ، وأنت شفاء كل داء (57)

والشاعر هنا استخدم اللفظ القرآني " والضحى " ، ولكنه استخدام أخل بالمعنى ، إذ أن المقصود وصف النبي صلى الله عليه وسلم بالضحى في الظلام ، ولكن استخدام واو القسم هنا كما وردت في القرآن جعل المعنى غير متناسق .

ـ سلام على ذلك الذي هو خاتم الإلهام حقاً ، والذي أتم الله عليه كل نعمه حقاً(58)

وأرى أن الشاعر لم يوفق في اختيار لفظ الإلهام هنا حيث قصد به الوحي وهو ما أشار إليه ووضحه في الهامش ، ولكن شتان ما بين الإلهام والوحي ، فالوحي لا يكون إلا من الله ، بينما الإلهام يحتمل هذا وذاك .

ـ سلام على الذي هو وجهة مستقبل العالم ، الذي يدل على وجهة كل ميزة وفضل(59)

ولا يخفى الثقل في لفظ معنون (بفتح الواو) على نطق أهل الأردية ، خاصة وأن به حرف من الحروف الصعبة في النطق هو حرف العين .

ـ سلام على ذلك الذي يتولاه الرب العظيم ، وتغار من انهمار صلوات الله وسلامه ورحماته عليه شلال الماء (60)

وهنا تركيب " ربّ كبار : بضم كاف كبار " ، ولا ندري هل قصد الشاعر هنا كلمة " كبار " جمع كبير ، ويكون المعنى " لاب الكبار " وهو ما لا يستقيم باعتبار أن الله رب الجميع كباراً وصغاراً ، أم أنه قصد به لفظ " كبير – أكبر " ، ويكون المعنى " الله الكبير " ، وهو ما يدل عليه تركيب " ربّ كبار " ، أم أن الأمر كله لا يتعدي الضرورة الشعرية ، فالشاعر يحتاج إلى كلمة للقافية فيها حرف الرويّ هو " الراء " ليتوافق مع حرف الروي في المصرع الثاني " آبشار " ، وبالتالي يزيد في الموسيقى الشعرية بالأبيات ؟؟!!. إن كان الأمر هكذا فهو اختيار خاطئ ويخل بالمعنى ولا يضيف إليه .

وفي النهاية فإن الأثر العربي على الشاعر الكبير ع . س . مسلم واضح في كل أعماله الشعرية بشكل عام وعلى ديوانه زمزمهء درود محل الدراسة بشكل خاص وهو ما اتضح من السطور السابقة .

*****

هوامش ومراجع

1 - لمحه به لمحه زندكى – لاهور – باكستان 2005م - ص 190 وما بعدها .
2 - انظر : ع . س . مسلم – ايک تهني کـ بهول - كراتشي – باكستان 1957م – ص 4 .
3 - وخير ما تتمثل فيه هذه الصفة إصراره على مواصلة تعليمه بعد أن تحسنت ظروفه المعيشية بعض الشيء مما ذكرناه سابقاً .
4 - د . عبد الستار نيازى – حسن كفتكو - ص 122 123 ، 160 .
5 - ويقصد الشاعر بالمحبوب هنا الله تعالى وأحياناً يقصد به الرسول عليه الصلاة والسلام والمعنى المراد به عنوان الكتاب هو دعاء الشاعر لله تعالى وللرسول عليه الصلاة والسلام أن ينظر إليه بعين العطف وأن يشملاه بالرحمة .
6 – مسلم – ايك تهني کـ بهول - لاهور، 1957م، المقدمة، ص3
7 – د . عبد الستار نيازى – حسن كفتكو - ص 40-41
8 - المعنى الحرفى للفظ " آنكن " هو "صحن " ، وقد قصد الشاعر به هنا باكستان ولكننا ترجمناه بمعنى " روضة " حيث أنه الأنسب فى سياق الكلام .
9 - رأي مولانا أبي الحسن علي الندوي من كتاب شاعر لوح شيشهء د ل- ص11 .

10 - زمزمه درود – ص 27 .
11 – المرجع السابق – 37 .
12 - المرجع السابق – 41 .
13 - المرجع السابق – 42 .
14 - المرجع السابق – 83 .
15 - المرجع السابق – 88 .
16 - المرجع السابق – 130 .
17 - المرجع السابق – 109 .
18 - المرجع السابق – 107 .
19 – المرجع السابق - 65 .
20 - المرجع السابق – 64 .
21 - المرجع السابق – 43 .
22 - المرجع السابق – 137 .
23 _ المرجع السابق – 124 .
24 - المرجع السابق – 112 .
25 - المرجع السابق – 126 .
26 - المرجع السابق – 102 .
27 - المرجع السابق – 101 .
28 - المرجع السابق – 96 .
29 - المرجع السابق – 92 .
30 - المرجع السابق – 88 .
31 - المرجع السابق – 67 .
32 - المرجع السابق – 52 .
33 - المرجع السابق – 53 .
34 - المرجع السابق – 28 .
35 - المرجع السابق – 29 .
36 - المرجع السابق – 36 .
37 - المرجع السابق – 37 .
38 - المرجع السابق – 43 .
39 - المرجع السابق – 45 .
40 - المرجع السابق – 48 .
41 - المرجع السابق – 61 .
42 - المرجع السابق – 30 .
43 - المرجع السابق – 30 .
44 - المرجع السابق – 32 .
45 - المرجع السابق – 33 .

46 - **المرجع السابق** – 40 .
47 - **المرجع السابق** – 42 .
48 - **المرجع السابق** – 44 .
49 - **المرجع السابق** – 44 .
50 - **المرجع السابق** – 46 .
51 - **المرجع السابق** – 46 **.**
52 - **المرجع السابق** – 46 .
53 - **المرجع السابق** – 49 **.**
54 - **المرجع السابق** – 55 .
55 - **المرجع السابق** – 85 .
56 - **المرجع السابق** – 32 .
57 - **المرجع السابق** – 36 .
58 - **المرجع السابق** – 104 .
59 - **المرجع السابق** – 109 .
60 - **المرجع السابق** – 116 .